



## الإعجاز العلمي في القرآن

# الوقاية من الأمراض



وإن الميكروب متعلق بذرات الغبار عندما تحملها الريح وتصل بذلك من المريض إلى السليم، وهذه التلطيح على المسمى لأن جراثيمه كل شيء أصله حتى ذرة الخشب وهذا من المعجزات العلمية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال صلى الله عليه وسلم: «غطوا الإناء» وأوتوا السقاء» فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء، رواء مسلم.

لقد ألبت الطب الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية، فقد تبين أن الأمراض المعدية تنشري في مواسم معينة من السنة، بل أن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعجيله حتى الآن..

من أمثلة ذلك: أن الحصبة، وشلل الأطفال، تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفوئيد يكثر في الصيف

أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات، والجديري كل ثلاث سنين وهذا يقسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن في السنة ليلة ينزل فيها وباء أي أوبئة موسمية ولها أوقات معينة.

كما أنه صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى أهم الطرق للوقاية من الأمراض في حديثه: «اتقوا الذر (هو الغبار) فإن فيه النسيمة (أي الميكروبات)» فمن الحقائق العلمية التي لم تكن معروفة إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب، أن بعض الأمراض المعدية تنتقل بالبرداء عن طريق الجو المحمل بالغبار، والمشار إليه في الحديث بالذر.

فيكون فيمتلئ قلبه توخا ورجاء وإملا. وهذا ما يفقده غير المؤمن؛ لذلك تراهم ينتحرون ويصابون بالعقد والأمراض النفسية الكثيرة، نسال الله العاقبة.

### ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

الأمل لابد منه لتحقيق التقدم في كل المجالات، فلو لا الأمل ما شيدت الحضارات ولا تقدمت العلوم والاختراعات ،ولا نهضت الأمم من كبوات تصيبها، ولا سرت دعوة إصلاح في المجتمعات، وقديما قال بعض الحكماء: لولا الأمل ما بنى باني

بنياننا، ولا غرس غارس غرسا.

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

أعسل النفس بالأمال أرقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وقال الطغرائي (الوزير الشاعر):

ولا تيسأسن من صتيع ريك

إنه ضمين بآن الله سوف يذيل

فإن الليلي إذ يزول نعيمها

تيسشر أن النسياتيات تزول

الم تر أن الليل بعد ظلامه

عليه لإسفار الصباح ذليل

الم تر أن الشمس بعد كسوفها

لها صفحة تغشي العيون صقيلا

وإن الهلال النضو يقمر بعدما

بسا وهو شكت الجانبين ضئيل

فيا أيها المؤمن كن حسن الظن بريك مؤملا منه الخير

والنصر والفرج، فإن ابتليت فاصبر واعلم أن العسر لو دخل

جرا لنجيه العسر، فكن صبورا فعداما واستعن بالله ولا تعجز : لا خير في اليأس كل الخير في الأمل أصل الشجاعة والإقدام في الرجل.

فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي...» كيف يتطرق اليأس إلى نفس المؤمن وهو يقرأ قول الله تعالى : «ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون» (يوسف:87)؟

أم كيف يتمكن منه قنوط وهو يردد كلما قرأ القرآن قوله تعالى : «ومن يفتن من رحمة ربِّهِ إلا الضالون» (الحجرات:56)؟

إن العبد حين يكون مؤمنا حقا فإنه لن يياس بل سيكون دائما مستبشرا راضيا متطلعا للأحسن في كل الأمور أصابه في طريقه ما أصابه وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خيرا: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له..» فهو في كل الأحوال موعود بالخير فكيف يياس؟.

إنه ومن خلال إيمانه يستشعر أن الله عز وجل معه وهو ناصره وكافيه وبناء على ذلك فهو إذا مرض رجأ العاقبة والأجر: «وإذا مرضت فهو يشفين» (الشعراء:80).

وإذا ضعفت نفسه في وقت من الأوقات وقع في معصية سارع بالتوبة راجعا عفو الله ورحمته وأضعأ نصيب عينيه قوله تعالى: «قل يا عبادي الذين أشركوا على أنفسهم لا تقبضوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم» (الزمر:53).

وإذا أصابه شيق أو عسر أبقر أنها شدة عما قريب ستجلى قلن يغلب عسر يسرين: «فإن مع العسر يسرا» إن مع العسر يسرا».

إن المؤمن في كل أحواله صاحب أمل كبير في روح الله وفرجه ومعنته ونصره : لأنه لا يلق عند الأسباب الظاهرة فحسب، بل يتعداها مؤمنا أن لها خالقا ومسيبا وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن

ما الذي يدفع الزارع إلى الكد والعرق؟ إنه أملة في الحصاد، وما الذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطر ومقارعة الأهل والأوطان؟ إنه أملة في الربح، وما الذي يدفع الطالب إلى الجد والمثابرة والسهر والمذاكرة؟ إنه أملة في النجاح، وما الذي يحفز الجندي إلى الاستبسال في القتال والصبر على قسوة الحرب؟ إنه أملة في النصر، وما الذي يجيب إلى المرض الدواء المر؟ إنه أملة في العاقبة، وما الذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع ربه؟ إنه أملة في رضوان ربه وجنته.

الأمل - إذا - قوة دافعة تشرح الصدر للعمل، وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب، وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد، والمجد إلى المداومة على جده، كما أنه يدفع للخفيق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، ويحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه.

إن الأمل الذي نتحدث عنه هنا ضد اليأس والقنوط، إنه يحمل معنى البشر وحسن الظن، بينما اليأس معول الهدم الذي يحطم في النفس بواعت العمل، ويوهي في الجسد دواعي القوة؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الهلاك في الثنتين: القنوط والغضب...» والقنوط هو اليأس، والعجب هو الإعجاب بالنفس والغرور بما قدمته. قال الإمام الغزالي: «إنما جمع بينهما: لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب، والسجد والتشكير، والفاقت لا يسعي ولا يطلب، لأن ما يطلبه يستحيل في نظره».

### الإيمان يبعث في النفس الأمل

نعم هذه حقيقة وواقع شامد أن الإيمان يبعث في النفس الأمل ويدفع عنها اليأس والأسى. فالؤمن الحق يرى أن الأمور كلها بيد الله تعالى فيحسن ظنه بربه ويرجو ما عنده من خير وأمام عينيه قول النبي صلى الله عليه وسلم

## من قصص الأنبياء

أتاه الله العلم والحكمة وسخر له الجبال

والظهير يسبحن معه والآن له الحديد، كان عبدا خالصا لله شكورا يصوم يوما ويفطر يوما، يقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه وأنزل الله عليه الزبور وقد أوتي ملكا عظيما وأمره الله أن يحكم بالعدل.

### سيرته

حاجل بنو إسرائيل قبل داود: قبل البدء بقصة داود عليه السلام، سنرى الأوضاع التي عاشها بنو إسرائيل في تلك الفترة، لقد انفصل الحكم عن الدين، فأخذ نبي ملك كان يوشع بن نون.. أما من بعده فكانت الملوك تنسوس بني إسرائيل وكانت الأنبياء تهديهم. وزاد طغيان بني إسرائيل، فكانوا يقتلون الأنبياء، نثيا لئو نبي، فسلط الله عليهم ملوكا منهم ظلمة جبارين، الوهم وطغوا عليهم.

ونتالت الهزائم على بني إسرائيل، حتى أنهم اضاعوا التابوت، وكان في التابوت بقية مما ترك آل موسى وهارون، فقبل أن فيها بقية من الألواح التي أنزلها الله على موسى، وعصاه، وأمورا أخرى، كان بنو إسرائيل يأخذون التابوت معهم في معاركهم لتحل عليهم السكينة ويحققوا النصر، فشرروا وساءت حالهم، في هذه الظروف الصعبة، كانت هناك امرأة حامل تدعو الله كثيرا أن يبرزها ولدا ذكرا، فولدت غلاما فسمته أشموئيل.. ومعناه بالعبرانية إسماعيل، أي سمع الله دعائي.. فلما ترعرع بعثته إلى سبع وأسلمته لرجل صالح ليتعلم منه الخير والعبادة.

فكان عنده، فلما بلغ أشده، بينما هو ذات ليلة نائم: إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد فأنتمه مدعورا فقام أن الشيخ يدعو، فخرج أشموئيل يساله: ادعوني؟.. فكرر الشيخ أن يزرعه فقال: نعم.. ثم.. فقام، ثم ناداه بالصوت مرة ثانية.. وثالثة، وأنتبه إلى جبريل عليه السلام يدعو: إن ربك يعطك إلى قولك.

### اختيار طالوت ملكا

ذهب بنو إسرائيل لنبيهم يوما، سالوه: ألسنا مظلومين؟

قال: بلى.

قالوا: ألسنا مشردين؟

قال: بلى.

قالوا: أبعث لنا ملكا يجمعنا تحت رايته كي نتقاتل في سبيل الله ونستعيد أرضنا ومجدنا.

قال نبيهم وكان أعلم بهم: هل أنتم وأنثون من القتال لو كتب عليكم القتال؟ قالوا: وماذا لا نتقاتل في سبيل الله، وقد طردنا من ديارنا، ونشرد أبناءنا، وساء حالنا؟

قال نبيهم: إن الله اختار لكم طالوت ملكا عليكم.

قالوا: كيف يكون ملكا علينا وهو ليس من أبناء الأسرة التي يخرج منها لئلك هو أبناء يهودا- كما أنه ليس غنيا وفينا من أبو أغنى منه؟

قال نبيهم: إن الله اختاره، وفضله عليكم بعلمه وقوة جسمه.

قالوا: ما هي آية ملكه؟

قال لهم نبيهم: يسترجع لكم التابوت تجعله للائكة.

ووقعت هذه المعجزة.. وعادت إليهم النوراة يوما، ثم تجهز جيش طالوت، وسار الجيش طويلا حتى أحس الجنود بالاعطاش.. قال هذا طالوت لجنوده: من شرب من هذا الماء، إلا من شرب منه فليخرج من الجيش، ومن لم يذقه وإنما بل ربه فقط فليبق معي في الجيش.

وجاء النهر فشرب معظم الجنود، وخرجوا من الجيش، وكان طالوت قد أعد هذا الامتحان ليعرف من يطيعه من

## مساجد لها تاريخ

# مسجد الإمام الشافعي في القاهرة



وبوسط الضريح تابوت وضع على قبر الإمام الشافعي صنع من الخشب المحفور بزخارف بارزة دقيقة وبتكتابات كوفية ونسخية جميلة متضمنة آيات قرآنية وتاريخ عمله سنة 574 هجرية الموافق 1178 ميلادية وأسم الصانع الذي صنعه.

ويجاور هذا التابوت تابوت آخر لا يقل أهمية عنه حتى بزخارف جميلة وتكتابات نسخية تضمنت اسم والده الكامل وتاريخ وفاتها سنة 608 هجرية. ويعتبر هذان التابوتان مع تابوت الشهيد الحسيني السابق الإشارة إليه من أدق وأجمل النجارة العربية طرا.

ويتوصل إلى داخل الضريح من باب مفتوح بالجدار الجبري حلي مصراعه بزخارف دقيقة محفورة في الخشب وكتب عليه أبيات من الشعر وتاريخ الإنشاء سنة 608 هجرية كما كتب هذا التاريخ أيضا على عتب خشبي أعلى الشباك الغربي الذي يتكون سقفه من قصب نصف كروية داخل أشكال هندسية ويعتبر أول نموذج لهذا النوع من الأسقف، وتتألف جوانات الضريح من الخارج من طبقتين: الطبقة السفلية بارتفاع 11 مترا تقريبا تحيط بها عصابة نصف دائرية يعلوها شياك معقود يتوسط كل وجهة من وجهات هذه الطبقة على يمينه ويساره صفتان معقودتان وتنتهي هذه الطبقة بشرفة على هيئة أشكال هندسية مضفرة.

أما الطبقة العلوية فقد ارتدت عن السفلية بمقدار 70 سنتيمترا تقريبا مكونة عمرا خلف الشرفة أتفة الأكر. ويحلي وجهات هذه الطبقة صقف مخصصة بينها دوائر ومعينات مزخرفة بعلوها إفريز على هيئة أشكال هندسية ثم شرفات مسننة أوجهها مزخرفة. أما القبة فمصنوعة من الخشب المصنف بالوواح من الرصاص ركب بأعلاها قارب من النحاس يبرز منه الهلال. وعندما تخربت المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي بجوار ضريح الإمام الشافعي أنشا الأمير عبد الرحمن كتخدا مكانها مسجد سنة 1176 هجرية الموافق 1762/ 63 ميلادية بقي إلى أن تصدعت أركانها فأمر الخديو توفيق بتجديده وتوسيعه فتم ذلك سنة 1309 هجرية الموافق 1891/ 92 ميلادية على طراز الجوامع الحديثة التي أنشئت في هذه الحقبة من الزمن وهو الجامع الذي تشاهده الآن مجاورا للقبه.

أنشئت قبة الإمام الشافعي وجامعه 608 هجرية الموافق 1211 ميلادية الإمام الشافعي هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يجمع نسب له لايه مع علي - صلى الله عليه وسلم - في جده عبد مناف. ولد بفترة سنة 150 هجرية الموافق 767 ميلادية ودرس العمل في صغره على الإمام مالك بالمدينة ثم استقل عنه وواصل البحث والتدقيق وثقة في العلوم فكان عالما جليلا، وقد أسس مذهبه المعروف باسمه فأقبل عليه الكثير من المسلمين وقد حضر في أواخر أيامه وتوفي بها سنة 204 هجرية الموافق 819 ميلادية.

وعلى الرغم من قلة عدد الأبيية الدينية التي خلفها سلاطين بني أيوب فإن ضريح الإمام الشافعي يعتبر أقدمها أنشاء السلطان الملك الكامل الأيوبي سنة 608 هجرية الموافق 1211 ميلادية وأقام عليه قبة عظيمة. ويضع هذا الضريح إلى جوار رفات الإمام الشافعي رفات الأميرة شمسة زوجة صلاح الدين الأيوبي ورفات العزيز عثمان بن صلاح الدين كما يضم أيضا رفات والده الملك الكامل سنة 608 هجرية الموافق 1211 ميلادية. وتبلغ مساحة الضريح من الداخل 15 في 15 مترا تقريبا ويجداره الشرقي ثلاثة محاريب غلفت تحاويها بالشرطة من الرخام الملون كما غلفت طواقها بالخشب المنقوش ثم محراب رابع صغير أحدث لتصويب اتجاه القبلة وتكسو الجوانات الداخلية وزرة من الرخام الملون يتخللها ثلاث لوحات رخامية تنير اللتان منها إلى تجديد قابليات للقبة سنة 885 هجرية الموافق 1480 ميلادية وتشير الثالثة إلى تجديد الغوري وتنتهي بإفريز من الخشب المحفور بزخارف بارزة وتعلوه منطقة منقوشة ومذهبة من عمل يك الكبير سنة 1186 هجرية الموافق 1772 ميلادية ثم طراز خشبي عليه كتابة كوفية يتخللها زخارف نباتية ويبرز منه تمانية كوابيل خشبية محفور عليها كتابة كوفية أيضا.

وتحمل هذه الكوابيل ثماني كمرات مزخرفة تكون إطارا ممتدا أعد لتعليق قناديل الإضاءة ويعلو ذلك أركان القبة المشتمل كل منها على ثلاث حطام من المقرنص المنقوش بحصر بينها شيايبك من الجص المقرغ للحلي المتفاز من الملون.

قال قال أبو هريرة -والله إن سمعت بالسبحين قط إلا يؤمئذ ما كنا نقول إلا المديته.

### فقتة داود

وكان داود رغم قربه من الله وحب الله له، يتعلم دائما من الله، وقد علمه الله يوما ألا يحكم أبدا إلا إذا سمع لأقوال الطرفين المتخاصمين.. فذكر لنا لؤلؤي في كتابه الكريم قضية أخرى عرضت على داود عليه السلام.

جلس داود يوما في محرابه الذي يصلي لله ويتعبد فيه، وكان إذا دخل حجرتة أمر حراسه ألا يسمحوا لأحد بالدخول عليه أو إزعاجه وهو يصلي.. ثم فوجئ يوما في محرابه بأنه أمام اثنين من الرجال.. وخاف منهما داود لأنها دخلتا رغم أنه أمر ألا يدخل عليه أحد، سالهما داود: من أنتم؟

قال أحد الرجلين: لا تخف يا سيدي.. بيتي وبين هذا الرجل خصومة وقد جئناك لحكم بيننا بالحق.

سأل داود: ما هي القضية؟ قال الرجل الأول: «إن هذا أخي.. له تسع وتسعون نخعة ولي نخعة واحدة»، وقد أخذها مني، قال أعطها لي وأخذها مني.. وقال داود: بعني أن يسمع رأي الطرف الآخر وحجته: «إنك ظلمك بسؤال نخعتك إلى نجاچه».. وأن كثيرا من الشركاء يظلم بعضهم بعضا إلا الذين آمنوا..

وفوجئ داود باختلاف الرجلين من أمامه، أخفى الرجلان كما لو كانا محامية تبحرت في الجو وأدرك داود أن الرجلين ملكان أرسلهما الله إليه ليعلماه درسا.. فلا يحكم بين المتخاصمين من الناس إلا إذا سمع أقوالهم جميعا، فربما كان صاحب التسع والتسعين نخعة معه الحق.. وخر داود راكعا، وسجد لله، واستغفر ربه.. تسجد أساطير اليهود تصصا مربية حول فقتة داود عليه السلام، وقبل أنه اشتبه امرأة أحد قواد جيشه فأرسله في معركة يعرف من البداية نهايتها، واستولى على أمرائه.. وليس أبعد عن تصرفات داود من هذه القضية المختلفة.. إن إنسانا اتصل قلبه بالله، ويتصل بسبحه بسبحيح الكائنات والجسمادات، يستحيل عليه أن يرى أو يلاحظ جمالا بشريا محصورا في وجه امرأة أو جسدها.

### وفاته عليه السلام

عاد داود بعدد الله ويسبحه يوما، مات، كان داود يصوم يوما ويفطر يوما، قال رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عن داود: (أفضل الصيام صيام داود. كان يصوم يوما ويفطر يوما، وكان يقرأ الزبور سبعين صوتا، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي بمكانه كل شيء ويشفي بصوته المهوم والمهموم.) جاء في الحديث الصحيح أن داود عليه السلام كان شديد الغيرة على نسائه، فكانت نسائه في قصر، وحول القصر أسوار، حتى لا يقترب أحد من نسائه، وفي أحد الأيام رأى النسوة رجلا في صحن القصر، فقالوا: من هذا والله لننراه داود ليمسحن به. فبلغ الخبر داود -عليه السلام- فقال للرجل: من أنت؟ وكيف دخلت؟ قال: أنا من لا يلق أمامه حاجز، قال: أنت ملك الموت، فأذن له فأخذ ملك الموت روحه، مات داود عليه السلام وعمره مئة سنة، وشيع جنازته عشرات الآلاف، فكان محبوبا جدا بين الناس، حتى قيل لم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كان بنو إسرائيل أشد جزعا عليه.. منهم على داود.. وأتت الشمس الناس فدعا سليمان الطير قال: اطلبي على داود، فأظلمت حتى أظلمت عليه الأرض، وسكتت الريح.. وقال سليمان للطير: اطلبي الناس من ناحية الشمس وتحن من ناحية الريح.. وأطاعت الطير، فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان.